هنري الثالث ملك قسطيله بسلطنته على هذه الجزائر واجتهد وخاطر بنفسه حتى تغلب عليها ومكثت جزائر كنارية مدة طويلة في عائلته في صفة التزام لمملكة قسطيله ثم نقول انه ولو وردت اخبار كثيرة من السواحين وارباب الاسفار تتعلق بوصف الاقاليم القاصية من الشرق والتوجه اليها من طريق البر والبحر فان فن الملاحة في مبادي القرن الخامس عشر ما حصل فيه تقدم زائد عن الحالة التي كان عليها قبل سقوط المملكة الرومانيه

ثم انه لما جاء الوقت المخصوص لهذه الاعمال اذن القادر جل جلاله للناس بالخروج من اوطانهم والتوجه الى ما وراء حدود الاراضي العاكفين انفسهم على الاقامة فيها ومداومين على عدم الخروج عنها ويفتحوا لانفسهم ميادين شاسعة يظهروا فيها نباهتهم ومشروعات اعمالهم وشجاعتهم وكانت الاعمال التي حصلت في هذا العصر ما وقعت من احدى الممالك القوية والدول الشديدة الكبيرة في اوروبا او من الممالك التي سكانها يبغون تشييد فن الملاحة مع الجد والاجتهاد فيه وحصول النجاح التام لهم في المشروعات التي يبدونها في هذا الفن بل نشأت فخر طريق القيادة في هذا المشروع الجديد لمملكة البرتغال احدى الممالك الصغيرة الضعيفة بين ممالك اوروبا عندما عزمت على اكتشاف ومعرفة معلومات الاقاليم والجهات الارضية التي لا معلومية لبني الانسان بها وذلك انها ما حسنت فن الملاحة ونشرته فقط بل وفاقت في عزم غريب وهمة عالية حتى انها فتحت مقادير الاحوال لكشف الدنيا الجديدة التي سانشرح تاريخها في الجزء الخامس من تاريخي هذا ومن اجل ذلك يلزمني ان اشرح في هذا المحل قيام وتقدم ونجاح اعمالها البحرية المختلفة وهو انه توجد عدة اسباب مختلفة عند البرتغاليين في هياج عزمهم ونشاطهم في شغلهم في هذا المشروع الجديد حتى بها صار لهم القدرة التامة على تمام اعمال زائدة في الحمل والثقل زيادة عن القوى الطبيعية الموجودة في سلطنة مملكتهم ولما طرد ملوك البرتغال مسلمي الغرب من ممالكهم استحوذوا على شوكة كبيرة ومجد زائد بواسطة ما اكتسبه جيوشهم من الظفر والنصر على جيوش الاسلام بجهة اسبانيا وبما وقع لهم من الظفر مدوا سلطة حكومة مملكتهم وراء الحدود الضيقة التي كانت المملكة البرتغالية محدودة بها في مدة الاسلام وكانت في هيئة مملكة الزراعة تحت ايدي امراء المسلمين وحازوا رياسة الشوكة الداخلية الاهلية وقاموا في جامعة واحدة وما كان لملوك البرتغال طاقة في بعد طرد المسلمين من بلادهم على تأييد شوكة لانفسهم من دون انقطاع شقاقات حاصلة من العداوة والبغضاء الواقعة بينهم ثم بمداومة الحروب مع المسلمين عدة قرون تحسنت الاحوال عند كافة الامم الاوروباوية وارتفعت في هذا الوقت شوكة البرتغاليين ثم دفع حرب داخلي وهول في غلوق القرن الرابع عشر تولد من مشاحنات حصلت من تنافس الجلوس على تخت المملكة البرتغالية زادت فيه القوة الحربية للامة البرتغالية وتولدت في اهلها اعمال الجسارة والبسالة الموافقة لمشروعات الفروسية وبما ان مملكة البرتغال محدودة من كل جهة بممالك تجاور لها شديدة القوة والباس فمن ثم ما كان للبرتغاليين من طاقة يجروها في اشغال تعود عليهم بالمنفعة من جهة البر اذ ان سلطنة مملكتهم ليست في قوة كقوة مملكة قسطيلة الضخمة لكنها مملكة بحرية يوجد بها عدة مين عظيمة فمن ثم ابتدأت الامة البرتغالية في الشروع في التقدم في الاعمال البحرية والاستحواز على فن الملاحة علما وعملا وكان البحر مكشوفا لهم واعيد لهم الميدان الوحيد للمشروع الذي به يمكنهم شهرة انفسهم وابراز فنونهم وعلو مرتبة درجتهم فكانت هذه هيئة وحالة مملكة البرتغال وامتها في ذاك الوقت الذي اطلق فيه حنا الاول الملقب بابن الزنا بعد استحواذه على تاج مملكة البرتغال بصلح عقده مع مملكة قسطيلة في سنة ١٤١١ بعد الميلاد وكان حنا المذكور ملكا عالي الهمة والاقدام صاحب نباهة ومكنة وقد فتح لنفسه طريقا حتى وصل الى تخت مملكة ما كان له حق فيه ورأى في نفسه انه يستحيل عليه استتباب النظام العام والراحة الداخلية من دون ان يتدبر في طريقة اشغال يشغل بها حدة وعنفوان رعاياه المقلقين بارتباكاتهم الراحة العمومية في داخل المملكة فمن ثم تلقى امرا بان جمع اسطولا كثير العدد في مدينة لشبونة مؤلف من مراكب كبيرة وصغيرة قدر على جمعها وامكنه استعدادها من مملكته في سنة ١٤١٢ بعد الميلاد ومراكب اخرى اجرها من الممالك المجاورة له واعد هذا الاسطول للهجوم على مسلمي الغرب القاطنين في سواحل البربر ثم جمع

الاستكشافات البرتغالية

جمع ايضا قليل من المراكب واعدها للسفر في طول الساحل الغربي من افريقية المحدود بالبحر المحيط الاطلنطيقي وكشف الجهات الغير معروفة الموجودة على هذا الساحل ومن هذا الوقت يمكننا ان نؤرخ مبادي حصول العزم والهمة في الاستكشافات والملاحات التي فتحت الحواجز وازالت العوايق التي كانت غالقة على بني الانسان عدم معرفته ومعلوميته بالنصف الاعظم من الكرة الارضية من مدة طويلة وما زال كان فن الملاحة في هذا الوقت الذي ارسل فيه الملك حنا هذه السفن في هذه السياحة الجديدة في درجة غير تامة بالكلية ولو ان افريقية واقعة بالقرب جدا من البرتغال غير ان البرتغاليين ما خاطروا بانفسهم في السير في البحر خلف راس نون الواقع على الساحل الغربي لافريقية واشتهر اسم هذا الراس في تلك الجهة وراعاه الناس بانه اخر حدود الملاحة ولا يمكن العبور خلفه ثم ان الامم الاوروباوية استحوذت على معلومات كبيرة صارت بها على طاقة من عدم مراعاتها ما يحصل من الاخطار والمشاق واصلاح الخطأ الذي كان عليه اجدادهم واضمحلت عنهم سلطنة الجهل الذي كان متسلطا على عقولهم من مدة طويلة وزال دوام العداوة التي كانت بينهم واقترب الوعد في المشروعات الجديدة وانفجر صبحا نور العلوم والمعارف وشرع اهل اوروبا في مطالعة وتدريس تآليف قدماء الاغريق والرومانيين مع استقصائهم اياها واكتساب فوائدهم منها ودخلت العلوم والمعارف التي الفها العرب وغرسوا اصولها ودونوها في تآليفهم في اوروبا بواسطة المسلمين الذين كانوا قاطنين في اسبانيا والبرتغال وبواسطة اليهود الاكثر وفرة في هاتين المملكتين وصار علم الهندسة والفلك والجغرافية والعلوم التي تأسس عليها علم الملاحة المقصد الاصلي لالتفات الطلبة واشتهر ذكر الاستكشافات الذي كان القدماء شرعوا فيه وسار الناس على منوالهم واتبعوا طريقهم في تقدمهم في ملاحاتهم وتجاراتهم ومن ثم حصل للبرتغاليين النجاح في فن الملاحة وارسلوا مراكب في طلب الاستكشافات حتى وصلت الى راس نون اخر حدود الملاحة الاولية وعبرت خلفه الى مسافة ١٦٠ ميل حتى وصلت راس بجادور وعادت الى لشبونة فتولد من هذه السفرة زيادة الرغبة في عمل الاستكشافات عند البرتغاليين وكذا تولد من نصرة البرتغاليين على مسلمي البربر زيادة وتشجيعا في قوة الامة البرتغالية واندفعت في عمل مشروعات جديدة ثم رأوا انه لاجل صيرورة هذه المشروعات في نجاح والتوفيق ضرورة عهدها على شخص يكون فيه طاقة صالحة كافية على ما يمكن تيسر الحصول عليه وان يكون على معلومية وخبرة تامة من تشكيله هيئة منتظمة في المداومة على عمل الاستكشافات ويحيي بنباهته وقريحته ما عكس الحافظ عليه وما حصل من العوائق والعوارض في سعادة البرتغال فوجدوا هذه الشروط متوفرة في صفات هنري دوك فيشكو الابن الرابع للملك حنا من فيليبه لنكستر اخت هنري الرابع ملك انكلتره وكان هذا البرنس في مبادي شبابه صحب ابوه في الغارة على اهل البربر وظهرت نجابته في الاعمال الحربية وفي وقايع اخرى حصلت بعد ذلك ودرس الفنون والعلوم التي كان يتدربها ابناء جنسه من البرنسات وكان محبا كثيرا لمطالعة علم الجغرافية واكتسب من دراسته هذا العلم ومن حكايات السياحين معلومات كثيرة تختص بالمسكونة فتولد في عقله نوع ممكنة تامة صح دبت في عقله الغيرة والحمية ودخل في المشروع العائد عليه بالنفع والفخر والشرف ولاجل ملازمته لهذا المشروع الكبير من دون حصول انقطاع اوتوالى فيه اعتزل من الديوان من بعد عوده مباشرة من افريقية وجعل مقر اقامته في صغرينس بالقرب من راس سنت فنسنت وعنت اليه افكار الادفانوس في طلب المداومة على المشروعات اللازمة له وصحبه في عزلته بعض من كبار علماء الرجال الموجودين في مملكته من اجل معونته في طلب مشروعاته والتمس من مسلمي البربر طلب الاستعلامات اللازمة عن اقاليم افريقية الغائرين السفر اليها من طريق البر في طلبهم سن الفيل اي العاج والصمغ والتبر والتحايف الاخرى وكذا من اليهود القاطنين في البرتغال ووعدهم المكافآت الخطيرة وعلامات الشرف الجليلة ورتب في خدمته عدة انفس من الاعراب ومن البرتغاليين من الذين لهم دراية تامة بفن الملاحة ولما تيسر له الحصول على هذه الاستعدادات ساعدها ايضا بما عنده من الفضائل الموصوف هو بها وكذا بالقسم الاعظم من اهل بلاده طمعا في الشهرة او في الثروة واكتساب الاموال فكان اول اجرها وحصل منه كبيرا جدا كما هي العادة في مبادي كل مشروع جديد واعد لذلك مركب واحدة فقط عهد قيادتها ورياستها الى حنا غونزالز زاركو وتريسطان واز من وجوه اهل بيته فدما انفسهما برضاهما لاداء هذا المشروع وعرفهما من انهما يبذلا جهدهما وطاقتهما في الوصول الى راس بجادور ومنه يتوجها الى جهة الجنوب

البرنس هنري مدير الاستكشافات البرتغاليه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)